الصلبـــة

فصل من كتاب (عرب الصحراء) لديكسون

ولد ه . ر . ب . ديكسون الإنجليزي في بيروت سنة ١٨٨١ ونشأ في دمشق . ثم التحق بالسلك السياسي ، فأصبح في الحرب العالمية الأولى ضابطا سياسيا في جنوب العراق ، ثم عين معتمدا سياسيا في البحرين ثم نقل إلى الكويت . وكتابه هذا في ٦٨٤ صفحة وقد أثار ضجة في معظم البلاد العربية

الصلبة كلمة تدل على جنس من الناس المفرد منهم صلبي ؛ والجمع صليب بسكون الصاد

ولقد طالما تناولت أقلام الكتاب بالحديث هذه القبيلة المنحطة ، أو الجماعة بتعبير أدق ، التي تسكن في القسم الشمالي من الصحراء العربية ، في رقعة تقع على التقريب بين خطين يمتد أحدهما من الغرب إلى الشرق ، ماراً بالمدينة فالرياض جنوبا ، والآخر من حلب إلى الموصل شمالا

إن معاملة الناس لهم في الجنوب أكثر احتقارا ، ونظرتهم لهم أشد ازدراء منها لهم في الشمال ، كما أن مقتنياتهم الدنيوية في الجنوب أقل منها في الشمال

إن كل قبيلة تسكن في المنطقة التي مر تحديدها ، تضم في الواقع بينها جماعة من الصلبـــة تعيش بينها ، وذلك لما لهؤلاء القوم من الدراية الملموسة في اصلاح الأواني المنزلية وأدوات الطبخ ، ولمهارتهم في الصيد والقيافة

إن من أبرز خصائص الصلبة معرفتهم العجيبة ؛ بمواقع الآبار الخفية في المناطق التي يسكنون فيها . ومن ثم فانهم يتمتعون بتقدير القبائل التي تتولى حمايتهم لما لهذه المعرفة الكبرى في الحروب والمنفعة العظمى في الغزوات البعيدة المدى من أثر . ولهذا السبب فإن الغزاة يصطحبون معهم بصورة تكاد تكون مستمرة بعض الصلبة في غزواتهم

وكذلك حاشية الشيخ لا تكاد تخلو من أحد الصيادين الصلبة ، لتفوقه عادة على غيره في معرفة مراتع النزلان والنعام

يقال إن الصلبة مسلمون ، إلا أن من يؤدي فريضة الصلاة منهم كما يجب قليل جدا . ولعلنا لا نجانب الحق إذا قلنا إنهم لا دين لهم ، اللهم إلا حين تقتضيهم المصلحة السياسية أن يتظاهروا بالتدين كما هي حالهم في نجد والكويت

والرجال منهم على وجه العموم نحساء متملقون ، يصطنعون في الخطاب أساليب العرب في تصغير الأسماء للتعزيز مع ضعة في الأخلاق

وجمال وجوههم ، رجالا ونساء ، فوق المتوسط ، ولاسيما نساؤهم اللواتي كثيرا ما نجد بينهن بعض الصبايا الرائعات الجمال ، إلا أن مظاهر المسغبة المألوفة فيهم تثير الاشمئزاز ، وتؤيد مزاعم العرب القائلة بأن الصلبة يأكلون الفضلات وجيف الحيوانات التي يقعون عليها

ويبدو من هيئة تقاطيع وجوههم أنهم غير عرب قطعاً ، وليست لهم ما لهؤلاء من الخصائص السامية الثابتة

وفي بعض المناطق التي تكون لهم فيها أحياء دائمة خارج أسوار المدينة كما هو الحال في الكويت والزبير ، يظنهم الأوربيون بدواً ، وهو خطأ فاحش يؤدي في بعض الأحيان إلى مواقف مربكة

والعربي لا يستطيع أن يتخذ له زوجة من الصلبة؛ لأن أهله يقتلونه ويقتلونها معه إذا تزوجها؛ ومع ذلك فقد سمعت أن الأمير فواز أمير الرولة لم يتورع عن اصطحاب إحدى الصليبيات إلى الصحراء وابقائها خليلة له . ولذلك أصبح اسمه لعنة على ألسنة الطيبين من البدو

إن لأغلب الأحياء الصلبية رؤساء ، ولكن عددهم عندما

المادية ونصنع الأسلحة اللازمة لجيوشنا ، أو نحصل عليها بأي طريق ليمكن أن نتفاهم مع الاستعمار الذي لا يفهم غير لغة القوة، ونؤدي رسالتنا الإنسانية السامية في تحقيق الحرية لكل شعب مقيد ، ورفع الظلم عن كل مظلوم ، والمحافظة على الأمن والسلام العالمي المهدد دائما بمطامع الدول القوية

إن العزة من صفات المسلم وخلال العربي ، ولن نتحقق العزة اليوم للعرب والمسلمين إلا بالطائرات المختلفة في السماء ، والجوارى السابحات في الماء ، والجحافل المدربة على الأرض ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

أمل السوافيري

يكون كبيرا بين القبائل الكبرى فى الجزيرة يكون لهم من أنفسهم شيوخ ، ويملك بعض هؤلاء الشيوخ قطعانا كبيرة من الإبل ، ويتمتعون باحترام عظيم : مثال ذلك أن

الشيخ حمد بن شنوط هو شيخ صلبة المطير؛ والشيخ مطلق الصافى هو شيخ صلبة شمر؛ والشيخ محمد بن جلاد هو شيخ صلبة العمارات ؛ والشيخ مسيف هو شيخ صلبة الرولة

والصليبيات لا يتحجبن ، ويقدر بينهن من يغطين الجزء الأسفل من وجوههن بالمقنع ، وبهذا تسهل معرفتهن فى نجد لأول وهلة والصلبة شديدو الولع بالرقص ، ولذلك فأول ما يبادرون إلى القيام به أيام الأعياد والأعراس هو اعداد حفلات الرقص التى يشترك فيها الرجال والنساء يرقصون معا (وهو أمر مهين جدا ومعيب عند العرب) حيث يقبل الرجال النساء فى أفواههن ما بين حين وحين أمام المشاهدين .

وللصلبة فى الأعياد والحفلات وما أشبه تقليد غريب هو نصب صليب مؤلف من قطعتى خشب مربوطتين معا على هيئة شعار المسيحيين . ويمكن اعتباره شعارهم أو لواءهم القبلى

يقول العارفون من العرب أمثال الشيخ عبد الله السالم الصباح (حاكم الكويت)، ابن عم (المرحوم) شيخ الكويت ، وهم واثقون تمام الثقة بأن الصلبة من أحفاد ذلك العدد العظيم من اتباع المعسكرات الصليبية الذين أسروا أثناء الحرب بين الصليبيين والعرب . فقد زج باعداد ضخمة من هؤلاء الأتباع فى المعارك الكبرى التى دارت الدائرة فيها على الصليبيين ، فاسترقهم عرب الصحراء . وإن الصلبة المعاصرين هم حفدة أولئك الصليبيين. ويورد الشيخ عبد الله الأدلة التالية تأييدا لرأيه :

١ ـ كون الصليب هو شعار الصلبة

٢ ـ أن صيغة الجمع من اسمهم هي « صليب » وهى فى غاية الوضوح تقس الاسم العربى للصليب المسيحى ، وكلمة « صليب » ليست سوى تصغير للصليب ليس إلا

ولعل هناك ما يؤيد هذه النظرية ، ولكن قد يكون من الخطأ تكوين رأى حاسم قبل الحصول على الحقائق اللازمة من هؤلاء الناس الذين يثيرون اهتمام الباحثين ، وخاصة قبل الحصول على مقاييسهم الجسدية بصورة واسعة

وتتهم الصليبيات بالقدرة على الإصابة بالعين ؛ وبمعرفة خاصة بتحضير السموم ، واعداد جرعات الحب «سقوة» لمن يريدها ؛ وفوق ذلك كله بالمهارة فى السحر

ولعل التهمة الأولى راجعة لكون كثير من شباب البدو قد فقدوا عقولهم فى سبيل الحسان الصليبيات ، فاضطروا إلى الهرب من قبائلهم . أما التهمتان الثانية والثالثة فلعل لهما نصيب من الصحة ؛ فمن الثابت أن الصليبيات يدعين القدرة على إيقاع الإنسان فى الحب ، كما يدعين الكهانة . ومن ناحية أخرى فانهن أهداف سهلة للعامة من الناس ، فاذا أصيب أحد المشهورين بمكروه « فلا بد أن تكون صلبية قد أصابته بسحرها ! »

يجب التفريق بين الكواولة أو النجر الذين يجدهم المرء فى جميع أنحاء العراق وعلى حدوده ، والذين هم ، كما أرى دون شك ، من النجر الرومانيين فى أوربا وانجلترا . إنهم يشبهون البدو فى ملابسهم ، ويعيشون فى خيام صغيرة سوداء ، ويتنقلون هنا وهناك على ظهور الحمير التى ليس لديهم سواها كما يبدو . وكواولة العراق اصوص ، أشرار ، هرافون ، مهرة فى قراءة الكف ، وأخيرا وليس آخرا ، كثرة الطلب عليهم للقيام بعملية ختان الفتيات ، تلك العادة الشائعة فى جنوب العراق ، وبين قبائل المنتفك فى الفرات وقبائل بنى لام

رقص الصلبة :

أقيم الاحتفال فى مخيم الصلبة على مقربة من قصر نايف خارج بوابة نايف مباشرة ، ابتهاجا بختان أحد الأطفال . واستمر ثلاثة أيام ، مر اليومان الأولان منها وهذا هو الثالث ، وهو أحسنها وأعظمها

كان الصليب المألوف فى مكانه فوق خيمة الفرح يتدلى من فوقه نصف ثوب نسائى ، إشعارا للناس بالحفلة

ودخل رئيس الراقصين ومدير الحفلات أيضا — وهو رجل كبير السن كان قد ختن طفله منذ أيام قليلة — حلقة الرقص المؤلفة من الصلبة ، رجالا ونساء ، ومن بعض المشاهدين

الآخرين ، يلوح بالسيف فوق رأسه ، ويدعو فتيات الصلبة وفتيانها الأشداء لمصاحبته . وبعد أن دار حول الحلقة البشرية عدة مرات ، حدثت حركة فى إحدى الخيام المجاورة ثم اندفعت منها إحدى الحسان ، وقد ارتدت ثياب العيد (زعفرانية اللون أو بنفسجية يغطيها ثوب من الشاش) إلى حلقة الرقص ، حاسرة الرأس ، سافرة الوجه ، محلولة الشعر ، يتلاعب النسيم بشعرها. لقد كان منظرا فى الحق رائعا . فقد كان شعرها طويلا غزيرا ، ووجهها جميلا ، وعلى ذقنها ورقبتها أشكال جميلة من الوشم . كان ظهور الفتاة دعوة لأخيها أو زوجها بالاسراع إلى الحلقة ، ليحتضنها ويقبلها بلطف على شفتيها (تشجيعا ولا ريب) . ثم أعطيت الفتاة خيزرانة ، وابتدأ الرجل يرقص أمامها وهو « يتخبى » مقتربا منها حينا ، مبتعدا عنها حينا آخر ، ولكنه ظل بوجهه فى جميع الحالات . ولما ابتدأ الرقص ، ابتدأ فريق المغنيات المؤلف من اثنتى عشرة صلبية فى الإنشاد بصوت متقطع حاد وهن يصفقن بأيديهن

واستمر الرقص ، وانضم إلى الحلقة شبان وفتيات آخرون رقصوا على الصورة السالفة الذكر . وكان يحدث أحيانا أن تضم الحلقة عددا من الراقصين والراقصات ، يرقصون معا فى وقت واحد . لم يكن فى سلوك الراقصين ما يجانب الحشمة اللهم إلا مايبدا من شيخهم حينما أخذ يرقص بالسيف خلف صاحبته بصورة مثيرة ، مرة أو مرتين ، كان هذا العمل منه هو المخالفة الوحيدة فى الحفلة للحشمة

كان بين الحسان الثمان أو التسع اللواتى رقصن من تميزن بالجمال ، ولاسيما اثنتان منهن كان لهما شعر أحمر ذهبى ، يشع فى ضوء الشمس بصورة تلفت الأنظار ، لطول ما عولج بالحناء . وكان رئيس الحفلة الفظ يهتف بين الراقصات قائلا : ياعويل ! ياعويل ! (تعالوا وارقصوا) ويلوح أن الفتاة كانت ترقص على المنوال التالى : كانت تتبع فتاها مواجهة له محاولة إغراءه بالاقتراب منها ، فإذا استجاب لسحرها فى النهاية ، وانقلب من تراجعه الأول فى القيام بدور المحب الخجول ، إلى التقدم نحوها والتعبير عن إعجابه بجمالها فى كل حركة من حركاته ، بدأت فى التراجع ، بعد أن حققت غرضها . فإذا اقترب منها أكثر مما يجب ، أو حاول مسها ، ضربته بخيزرانتها بلطف ، واضطرته إلى التراجع

وكان صاحب السيف يرقص أحيانا على هذه الرجل وأحيانا على تلك ، ثم يأخذ فجأة فى الرقص على القدمين معا بصورة مطاطة . وكانت الفتاة ترقص كما ترقص البدويات على باطن قدميها وتنش (تقفز) ثم تعود إلى حالها الأول بأرجل قوية . وتتقدم وتتأخر أمام فتاها . وكانت تقلع (تهز رقبتها) بخفة على وقع أقدامها تجاه رفيقها . ولكنها كانت تغير حركتها بتلويح ضفائرها حول رأسها بحركة جانبية أو مستديرة من رأسها . لم تبتسم خلال الرقص مطلقا ، بل أبقت شفتيها مطبقتين تماما . وكانت تضع يدها أحيانا على فمها أو أنفها . فإذا اقترب رفيقها منها بصورة « فاضحة » كما حدث ذلك فعلا عدة مرات ، ضربته بلطف بخيزرانتها كأنما تصده عن نفسها . وكانت ميزاتها الخاصة هى أنها صبغت شفتيها بالحمرة ، وعلا مفرقها خط زعفرانى عرضه نصف بوصة . وكان لجميع الفتيات مثل هذا الخط الذى كان يبدو كدهان من الزعفران (ولعله محلول قوى من الحناء) . وقد انتهى الرقص حينما أسرع أخو الفتاة إلى الحلقة فغطى وجهها ورأسها بجزء من ثوبها الشاش ثم ذهب بها ...

(صوت البحرين) ع . ت